

تحقيق "هأرتس"

<https://archive.md/HEECR>

كل من يعبر خطأً وهمياً يُطلق عليه النار حتى الموت، سواء كانوا ضالين الطريق غير مسلحين أو مجرد راكبي دراجات هوائية. مقاتلون وقادة خدموا خلال الأشهر الأخيرة في منطقة ممر نتساريم، تحدثوا لـ "هأرتس" عن عشوائية القتل وبساطته، حيث يتم تصنيف كل فلسطيني يُقتل على أنه "إرهابي"، حتى وإن كان مجرد طفل.

يانيف كوبوفيتش

18 17:45 • ديسمبر 2024

ذلك الخط ليس مرسومًا على أي خريطة، ولا مكتوبًا في أي أمر رسمي. إذا سُئل كبار قادة الجيش الإسرائيلي، فمن المحتمل أن يقولوا إنه غير موجود. لكن في قلب قطاع غزة، شمال ممر نتساريم، لا شيء أكثر وضوحًا منه. يقول قائد في فرقة 252 لـ "هأرتس": "هناك شيء يُطلق عليه بين القوات في الميدان 'خط الجثث'. بعد إطلاق النار، لا يتم جمع الجثث على الفور، فتأتي قطعان الكلاب لتأكلها. في غزة، يعرف الناس أن وجود الكلاب الضالة يعني أن عليهم الابتعاد عن تلك المناطق."

يبلغ عرض ممر نتساريم سبعة كيلومترات. يبدأ بالقرب من كيبوتس بنيري وينتهي عند الساحل الذي احتلته قوات الجيش الإسرائيلي. تم إخلاء المنطقة بالكامل من السكان وهدمت منازلهم بهدف تعبيد الطرق وبناء القواعد العسكرية. رسميًا، تم منع دخول الفلسطينيين إلى المنطقة تمامًا. لكن الواقع يشير إلى ما هو أبعد من مجرد منع السكان من العودة إلى منازلهم.

يوضح ضابط كبير في فرقة 252، الذي خدم في ثلاث دورات احتياطية بغزة: "هذه مجرد كلمات تجميلية يستخدمها الجيش. عمليًا، قائد الفرقة حدد هذه المنطقة بأنها 'منطقة قتل'. أي شخص يدخل إليها يُطلق عليه النار"

ضابط آخر من فرقة 252، أنهى مؤخرًا خدمته الاحتياطية، يوضح مدى عشوائية هذا الخط:

"بالنسبة للفرقة، منطقة القتل هي مدى تصويب قناص". لكن القضية ليست فقط الموقع الذي يُقتل فيه الأشخاص، بل أيضًا هوية القتلى. "نحن نقتل مدنيين هناك ويتم تصنيفهم كإرهابيين"، يصف الضابط. "إعلانات المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي حول عدد القتلى من كل وحدة، لواء، وفرقة حوّلت هذا الأمر إلى منافسة بين القوات. إذا قتلت فرقة 99، 150 شخصًا، فالفرقة التالية سيحاول الوصول إلى 200".

هذه المشاعر المتعلقة بالقتل العشوائي وسهولة تحول المدني إلى "إرهابي" بعد مقتله، ظهرت بشكل متكرر في محادثات أجرتها صحيفة "هآرتس" مع جنود خدموا خلال الأشهر الأخيرة في قطاع غزة.

يقول قائد كبير في الاحتياط، أنهى مؤخرًا جولة أخرى في ممر نتساريم:

"القول إننا الجيش الأكثر أخلاقية في العالم هو ببساطة محاولة لإبعاد المسؤولية عن الجنود، الذين يعرفون تمامًا ما نقوم به هناك. هذا يعني عدم الرغبة في الاستماع إلى جنودنا، وتجاهل حقيقة أننا موجودون منذ أكثر من عام في مكان بلا قوانين، حيث حياة الإنسان لا تساوي شيئًا. نعم، نحن القادة والمقاتلون نشارك في الفظائع التي تحدث في غزة. والآن — عليكم أن تواجهوا ذلك أنتم أيضًا."

الضابط نفسه لا يندم على أنه ارتدى الزي العسكري في 7 أكتوبر ("خرجنا إلى حرب عادلة")، لكنه يرى أنه من المهم أن يحصل المدنيون على صورة كاملة أيضًا. "حان الوقت ليعرف الجمهور في إسرائيل كيف تبدو الحرب، وما هي الأفعال الخطيرة التي يرتكبها بعض القادة والجنود هناك، وما هي المشاهد غير الإنسانية التي نشهدها".

وصلت صحيفة "هآرتس" شهادات من قادة وجنود في الخدمة النظامية والاحتياطية، يروون عن الصلاحيات اللامحدودة التي مُنحت للقادة:

مع انتشار قدرات الجيش الإسرائيلي على عدة جبهات، بعضها خارج الحدود، أصبحت لقادة الفرق سلطات أوسع من السابق. فعلى سبيل المثال، قبل الحرب، كان يتطلب تنفيذ قصف جوي أو استهداف مبنى شاهق موافقة رئيس الأركان، أما الآن فالقرار بيد القادة الميدانيين أو حتى من هم تحت قيادتهم المباشرة.

يقول ضابط مخضرم في فرقة 252، يشغل دورًا مهمًا فيها:

"اليوم، قائد فرقة ليس لديه تقريبًا أي قيود في استخدام القوة في مناطق القتال. في غزة الآن، يمكن لقائد كتيبة أن يأمر بشن هجوم باستخدام طائرة بدون طيار، ويمكن لقائد فرقة أن يقرر احتلال مدينة كاملة."

أحياناً، كما يروي القادة والجنود، يتصرف الجيش الإسرائيلي وكأنه ميليشيا مسلحة مستقلة، بدون قوانين، أو على الأقل، ليس وفقاً لما هو مكتوب في أوامر الجيش.

"أخذناه إلى القفص"

غالبًا ما وضعت هذه الفوضى القادة والجنود في الفرقة أمام معضلات أخلاقية صعبة.

يقول جندي مخضرم في الفرقة 252، واصفًا الأوامر التي تلقوها:

"كانت التعليمات واضحة: الحفاظ على المنطقة نظيفة. أي شخص يعبر الجسر ويدخل ممر العبور يجب أن يتلقى رصاصة في رأسه."

ويضيف متحدثًا عن حادثة محددة:

"في إحدى المرات، رصد الحراس شخصًا يقترب من الجنوب. تصرفنا كما لو كان اقتحامًا من عشرات المسلحين. صعدنا إلى المواقع وفتحنا النار عليه مباشرة. أطلقنا عليه عشرات الطلقات، ربما أكثر. لمدة دقيقة أو دقيقتين، كنا نطلق النار على الجثة بلا سبب. كان حولي جنود يطلقون النار ويضحكون".

لكن هنا، يقول، لم تنتهِ الحادثة بعد:

"ذهبنا إلى الجثة التي كانت مليئة بالدماء، صورناها وأخذنا الهاتف. كان شاباً صغيراً، ربما في السادسة عشرة."

وفقاً لما ذكره الجندي، وصل إلى المكان ضابط استخبارات وجمع الأشياء، وبعد عدة ساعات تم إبلاغ الجنود بأن الشاب لم يكن ناشطاً في حماس. "كان مجرد طفل."

"في المساء جاء إلينا قائد الكتيبة وقال: 'كل التقدير لأننا قتلنا إرهابي، وأتمنى غداً أن نقتل عشرة'. يضيف الجندي. "عندما علق أحدهم وقال إنه لم يكن مسلحاً، وكان يبدو أنه مجرد مدني، صرخ الجميع عليه. قال قائد الكتيبة: 'من وجهة نظري، كل من يعبر الخط هو إرهابي، لا استثناءات، لا مدنيين. الكل إرهابيون'. هذا كان يهزني، هل من أجل هذا تركت بيتي وذهبت للنوم في منزل مع الفئران؟ من أجل إطلاق النار على أشخاص غير مسلحين؟"

عدّ المدنيين غير المسلحين إرهابيين هو ظاهرة تتكرر مراراً في القطاع، كما تظهر الأدلة التي وصلت إلى "هآرتس":

يتذكر ضابط برتبة رفيعة في مقر قيادة فرقة 252 اليوم الذي أصدر فيه المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي بياناً يفيد بأن قوات الفرقة قتلت أكثر من 200 إرهابي.

"في جميع الحالات التي يوجد فيها قتلى يمكن الوصول إليهم، يقول الإجراء أنه يجب تصوير الجثة والبيانات التي عليها، ثم يجب إرسالها إلى الاستخبارات للتحقق مما إذا كانت الجثة تعود لإرهابي أو على الأقل للتأكد من أن الشخص قُتل على يد الجيش الإسرائيلي"، يروي الضابط. "في الواقع، من بين 200 قتيل تم إرسالهم للتحقق، تم تأكيد أن عشرة منهم فقط كانوا نشطاء في حماس. ولكن من يهتم إذا تم نشر أننا قتلنا مئات الإرهابيين؟"

تتغير الضحايا ولكن بين القصص التي وصلت إلى "هآرتس" يوجد خيط ربط يظهر تشابهاً كبيراً:

على سبيل المثال، الحادث التالي، الذي يرويهِ جندي آخر خدم في المنطقة:

"تم الإعلان عبر مكبر الصوت أن هناك إرهابيين"، يتذكر. "صعدت إلى التلة وغطيت، وخرجت دبابة باتجاههم. كانوا أربعة غير مسلحين يمشون على الأقدام، عادي. لم يبدو عليهم أنهم إرهابيون، تم تحديدهم من خلال الطائرة المسيرة."

لكن الدبابة تقدمت نحوهم، وبدأ إطلاق النار. "أطلقوا عليهم رصاصاً من المدفع الرشاش. مئات الرصاصات".

الشهادات التي تم ذكرها تسلط الضوء على التحديات الأخلاقية والقرارات الصعبة التي يواجهها الجنود والقادة في ساحة المعركة. العديد منهم يذكرون التوتر بين الحاجة للامتثال للتعليمات العسكرية وبين الشعور بالفضاعة تجاه الأفعال التي يُطلب منهم القيام بها.

الجنود والقادة يتحدثون عن مواقف لم يكن من الواضح فيها ما إذا كانوا يتصرفون بشكل قانوني وأخلاقي. في بعض الأحيان، كانت هناك حالات شعر فيها الجنود بعدم القدرة على فهم التعليمات التي كانت تبدو غير صحيحة بالنسبة لهم، مثل إطلاق النار على أشخاص غير مسلحين أو القيام بأفعال لم يكن لديها مبرر في نظرهم. هناك بعض الجنود الذين عبروا عن مشاعر من الصدمة والإحباط من الطريقة التي كانت تتم بها العمليات، وكانوا يشعرون بأنهم لم يفهموا دوافع الأفعال التي كانوا مضطرين للقيام بها.

المعضلة الأساسية هي ما إذا كان ينبغي الامتثال للأوامر العسكرية، التي قد لا تكون دائماً متوافقة مع الأخلاق الشخصية، أو اتخاذ قرارات مستقلة مع المخاطرة بمستقبلهم العسكري. هذه الشهادات تُظهر أن القرارات العسكرية لها تبعات ثقيلة، ليس فقط على الأشخاص الذين كانوا متورطين بشكل مباشر، ولكن أيضاً على الجيش والمجتمع بشكل عام.

بشكل عام، يبدو أن هذه الشهادات تعكس شعوراً بالغربة والخوف بين الجنود من جهة، والقرارات التي يتلقونها من القادة من جهة أخرى، بالإضافة إلى مشاعر صعبة من عدم الفهم تجاه أهداف بعض العمليات في ساحة المعركة

الشهادات التي تم ذكرها في هذا السياق تبرز العديد من القضايا الأخلاقية والعملية التي يواجهها الجنود والقادة في ساحة المعركة. في بعض الحالات، كانت هناك قرارات تتعلق باستخدام القوة بشكل مفرط ضد مدنيين، مثل الهجوم على أشخاص عزل أو قتل أطفال في ظروف غير مبررة، مما أثار تساؤلات حول مشروعية هذه الأعمال. الحادثة التي تم ذكرها من قبل أحد جنود الاحتياط في وحدة 99 توضح كيف تم استهداف عائلة مكونة من أطفال وكبار سن باستخدام طائرة هليكوبتر، وهي عملية وصفت بأنها "رعب خالص"، حيث لم يكن هناك أي تهديد من قبل الضحايا.

من جهة أخرى، هناك أيضا تلميحات حول كيفية تجنب بعض القيادات العسكرية للأسئلة أو الإجراءات القانونية التي قد تراقب استخدام القوة بشكل دقيق. على سبيل المثال، تم الكشف عن "إجراء الوميض" الذي كان يتيح للقادة العسكريين شن هجمات دون الحاجة للحصول على موافقة من سلاح الجو، وهو ما يثير تساؤلات حول شيوع هذه الممارسات في فترات معينة.

عند النظر إلى هذه الشهادات، يظهر بوضوح الصراع بين الأوامر العسكرية والتنفيذ على الأرض، خاصة في الظروف المعقدة والمتغيرة التي يواجهها الجنود في الميدان. وبالرغم من أن بعض الجنود قد يشعرون بأنهم في وضع صعب لاختيار بين الامتثال للأوامر أو احترام القيم الإنسانية، فإن هذه القصص تكشف عن تأثير ذلك على الجوانب الأخلاقية والنفسية للأفراد المعنيين.

القصة تصف توجهات وتصورات تيتو الجنرال يهودا وأخ، قائد لواء 252، والطريقة التي قاد بها العمليات العسكرية في قطاع غزة. وأخ، الذي شغل مناصب قيادية أخرى في الجيش الإسرائيلي، أظهر نهجًا قاسيًا وصارمًا تجاه العدو، لدرجة أنه قال إنه لا يوجد "أبرياء" في غزة، وأن الجميع يمثل تهديدًا أو عدوًا. هذه الفكرة أصبحت توجيهًا عمليًا لدى قادة وحداته، حيث كان يُنظر إلى أي شخص يشتبه به على أنه عدو على الفور، مما حول العمليات العسكرية إلى سلسلة من القرارات المتسارعة وغير المنضبطة.

تحت قيادته، كان هناك تكرار في تغييرات "الخطوط الحمراء" أو المناطق الممنوعة، مما جعل الوضع أكثر فوضوية. كان الجنود والمشاهدين يلاحظون أن هذه القرارات تتخذ بدون وضوح أو استشارة، بل كان يتم تحديد الخطوط بناءً على قرارات فورية وغير متفق عليها، مما خلق حالة من الغموض والارتباك. كان هناك أيضًا شعور بالارتجالية، حيث كانت تُنفذ العمليات العسكرية بدون اتباع الأوامر المقررة أو التنسيق مع الهيئات العليا.

تحدث بعض القادة العسكريين عن تأثير هذا التوجه العسكري، الذي كان يحث على الاستمرار في القتال حتى السيطرة على الأرض، دون الاهتمام بالشروط الإنسانية أو بالشرعية العسكرية، مما خلق بيئة قتالية مرعبة وغير محكومة.

النص الذي قدمته يتناول بعض التصرفات والمواقف التي نسبها الجنرال يهودا وأخ، قائد لواء 252 في الجيش الإسرائيلي، في سياق العمليات العسكرية في غزة. يصف بعض العسكريين في الوحدة سلوك وأفكار وأخ في التعامل مع السكان المدنيين في غزة، مما يكشف عن نهج قاسي وشخصي تجاه "العدو".

أحد المفاهيم التي ظهرت في هذا السياق هو "חט" (شوتير)، والذي يشير إلى الأشخاص الذين يُعتقد أنهم يراقبون أو يجمعون معلومات استخباراتية عن القوات الإسرائيلية، وقد اعتبرهم وأخ "أعداء" أو "مساعدين للإرهابيين". كان يتم التعامل مع هؤلاء الأشخاص دون تمييز، مثل فرض فكرة أن أي شخص على دراجة هو "مساعد للإرهابيين"، بل وقد تم اتخاذ قرارات عسكرية لقتلهم.

الأمر الآخر الذي يثير القلق هو تصرفات وأخ بعد مقتل القيادي في حماس يحيى السنوار، حيث أُفيد أنه تحدث عن "فنتازيات" مرعبة تخص كيفية التعامل مع الجثة بشكل وحشي وغير إنساني، مثل تشريح الجثة والتعامل معها بطريقة مهينة للغاية، مما يظهر تحولاً عميقاً في تفكير وتصور القيادة العسكرية عن القيم الإنسانية.

تظهر هذه الحوادث سلوكيات تشير إلى تغييرات في الطريقة التي يتم بها اتخاذ القرارات العسكرية في الميدان، حيث تحولت العمليات إلى تصرفات ذات طابع فردي ومتطرف، دون مراعاة للمعايير الأخلاقية أو القانونية المعمول بها.